

الفصل الرابع الفخر الحماسي

فطر العربي على الحماسة كما فطر عليها كل إنسان ، وذلك أن حب الحياة حمل الناس على النزاع في سبيل الحياة ، وإذا الأرض ميدان واسع لتنازع البقاء ، وإذا الناس اثنان : غاز ومغزو ؛ أو هم بالحرى تارة مغزون وطوراً غازون . وهم في كل حال جماعة جلاد وقتال ، يقوم فيما بينهم من يبوq لذلك القتال ، ويدعو إليه ، ويبث الحماسة في صدور الأبطال ، أو يسجل المواقع بكلام منظوم هو الشعر الحماسي . وهذا الشعر الحماسي نشأ عند جميع الشعوب نشأة بدائية مقطعة الأوصال ، يرافق نبضات القلوب ، وغضبات السيوف ، ثم راح مع الأيام ، عند الشعوب المتقدمة في سبيل المدنية والوعى ، يصور دأى الذكريات وروائع المشاهد ، ويتغنى بالبطولات القومية ، ويعلق أطرافها بأعمال بطل من الأبطال ، ويضخم المواقف ، ويرفعها إلى أجواء الخوارق ، في قصص مملوءة بالحياة ، وفي وصف رائع الألوان ، وهكذا كانت الملحمة .

ولأكثر أمم الأرض ملاحم شعرية سطرت فيها الأجداد القومية ، وخلال العظمة التي ورثها الأبناء عن الآباء ؛ فلأمة اليونان إلياذة هوميروس وأوديسته ، وفيهما إحياء الحرب الطروادية مضخمة ، ولأمة الرومان إلياذة فرجيليوس وفيها ذكر مغامرات البطل إيناس جد روموس ورومولوس ؛ ولأمة الهنود ملحمة الراماياتا للشاعر فالميكي في ثمانية وأربعين ألف بيت من الشعر ، وفيها الشيء الكثير من تاريخ الهند القديم ؛ ولهم أيضاً ملحمة المهابارتا في نحو مائة ألف بيت من الشعر ، ولأمة الفرس شاهنامه الفردوسي وهي سفر تلك الأمة وسجل أعمال